وما يمكننا ان نقوله عن هذه المدن هو انها كانت قبل ان شملها الخراب الالهي حافلةً بالسكان متردّيةً ثوب الحضارة والمدنيّة. ويخبرنا الفصل الرابع عشر من سفر التكوين ان كلًّا من هذه المدن كانت قاعدةً للوك جبابرة فضلًا عن ان موقعها الطبيعي يستدعي ان تكون زاهرةً غنّاء مزدهيةً بجمال موقعها مقترنةً بجنانها وغياضها المدهامّة غنيّة بوفرة مائها وخيراتها لان نهر الاردن العظيم كان يتشعّب في غورها الزكيّ التربة سيولًا فيسقي ارباضها ورياضها وحدائقها التي كانت ولا شك تفوق جنات الشام كثرةً وخصبًا (راجع تك١٣: ١٠)

واخيرًا يمكننا ان نقول ايضًا ان تحضّر هذه المدن قديمًا وتأنّب السكّان فيها قد حملا ابرهيم الخليل على ان يتقدم الى العلي مسترسلًا في كلامه مكررًا طلبهُ اليه تعالى ان يعفو عنها (تك١٨). غير انهُ لمّا كان الفساد قد شمل سكّانها وكان جميعهم قد سكروا بلذّة الاثم حتى لم يعد فيها بارٌّ سوى لوط وآله انتقم الله من اهلها بان أمطر المدن ووادَيها الجميل نارًا وكبريتًا من السماء فألهب ما كان هنالك خزينًا مُعدًّا من البراكين النارية التي تعجّلت دمارهم فطبّق ماء الغور الراكد تحتها وجه هاتيك الارض فساخت بهم خاسفةً وظهرت البحيرة على ما نراها اليوم

الفوز بالمراد في تعريف حبّة بغداد

لحناب الدكتور نابوليون ماريني (تعريب حضرة شفيقنا الاب انستاس الكرملي)

١ اللفظة ومرادفاتها وأصولها اللغويّة

في بغداد نوع من مرض الجلد يخرج بهيئة حبّة صغيرة ثم تعظم. واكثر مجيئها على الوجه وفي خروجها فيه تشوّههُ. وسُمّيت حبّةً من باب المشابهة. وأُضيفت الى بغداد لكثرة ظهورها في دار السلام. وقد ظنّ البعض ان لفظة «الحبّة» بمعنى هذا النوع من البثرة اي bouton ليست عربية. قلنا: هي عربيّة وعربيّتها فصيحة لانها مأخوذة من باب المشابهة والمشابهة من المحاسن اللغويّة وبالاخصّ من المحاسن اللغويّة العربيّة. وانت تعلم ان باب المشابهة واسع. وقد استعملها اطباء العرب بهذا المعنى كما تتحقّقهُ من تعريفهم البُرّة اذ قالوا عنها انها «حبّة كبيرة كالعلكة» الخ «وحبّة بغداد» هي التسميّة التي يُسمّيها بها الاطبّاء المحدثون كما قالوا في الفرنسيّة bouton de Bagdad.

واما اهل الزوراء فلا يعرفونها الّا باسم « الأُخت » ولها وجهٌ فصيح . وذلك انَّ هذه الحبَّة لا تخرج وحدها بل يكون معها غالباً حبوب اخرى متجاورة او متباعدة تشبهها كل الشبه وعليهِ فتكون كلّ واحدة منها أُختاً للثانية . وهذا المعنى هو من معاني الأُخت في العربيـة الفصحى . امَّا العرب الاقدمون فقد سمّوها « عُدًّا او عُدَّة » اذا ظهرت في الوجه . قال الزبيدي : « المُدّ والعُدّة بثرتهما بثر يكون في الوجه . عن ابن جنّي . وقيـل هما بثر يخرج في (وفي بعض النسخ : على) وجوه الملاح » اه . ومعناها الاصلي مأخوذ من مادّة ع د د التي يغلب فيهـا معنى « الجمع » على حدّ ما يُرى في معنى الرومية (add(ere كأنّها من موافقات اللغـات . وعليهِ فمعناها يُشير الى انها تكون غالباً ما يزيد عددها على الحبَّـة الواحدة . ويُقال لها عند اطبّاء العرب المولّدين « البُرَّة » قال في كتاب الرحمة (ومثلهُ في كتاب تسهيل المنافع) : « البُرَّة حبَّة كبيرة كالبلّكة تنبت معها حبوب كثيرة مشتبكة اي مختلفة . سبب ذلك اختلاف المأكول والمشروب والمسكن في البلاد الوبيئة » . ومعنى البُرّة القمحة وسبب تسميتها هي المشابهة ايضاً كما في الحبَّة . وقد سمّاها البعض باسم « التوتة » . وهي ايضاً من باب المشابهة لانها تكون حمراء وتكبر حتى تكون بحجم التوتة اي الفرصادة . هذا ولو اردنا ان نتتبّع اسم هذا المرض الجلدي في كلّ البلاد التي يتكلّم اهلها بالعربيـة لاختلفت وتعدّدت باختلاف المواطن والمدائن . ولهذا نقف عند هذا الحدّ . (الى هنا من كلام المعرّب)

٣ تعريفها الطبي

ما حبَّة بغداد وما أدراك ما هي ؟ — على ما قالهُ أُنّا (Unna) وبروق (Brocq) وغيرهما من علماء الامراض الجلديَّة تقيُّحٌ يصيب الفرد من الناس مستقلّ بنفسهِ ومرضهُ الجلد . وعليـهِ فالأُخت منطوية تحت مَطوى علم الامراض الجلدية وليس لها تعلّق بداخل نظام الاعضاء . وهذه الحبَّة تنتقـل بالعدوى على رأي جماعة وهي غير مُعدية على رأي الفريق الآخر . امَّا العلة المحدثة لهذه العُدّة فانّ الابحاث لا زالت قوادمها متصلةً بخوافيهـا طلباً لها . وهي لم تزل الى يومنا هذا خافيةً فتّاكةً شاكيةً شائكة كمن « يلذع ويصمي »

غير انَّ أبحاثي قد ادّت بي الى نتائج تُذكر فتُحسب . خلاصتها : انّ بُرَّة بغداد هي

لا جرم من الامراض العفنيَّة وتُعدي الغير بنفسها وفيها أحيانًا (١ (مكروب) والعدوى فيها من جوهرها وفتكها محصور في الجلد لا غير. وهذه التوتة ليست فقط خللًا بسيطًا خارجيًا يحدث في الجلد كما يظنهُ الى يومنا هذا المشتغلون بعلم الامراض الجلدية بل هي ايضًا من عداد الامراض الداخليَّة. وهاءنذا أثبت ذلك بالبينات الصادقة والبراهين الناطقة

٣ هل الحبَّة البغدادية او الأُخت مُعدية ؟

إي. ولا شك في هذه الحقيقة. وناقل هذه العدوى هي الحشرات. وذلك انني لمَّا كنت طبيبًا للسترصف الكاثوليكي في بغداد اتجه لي ان استقصي البحث عن هذه الأُخت وبقيتُ زمنًا طويلًا اتتبَّع فحصها وأُمعن في استكشاف امرها وسرّها وتوعتُ في قوسها حتى لم يبقَ لي مطمع فسعي هذا السعي يفيد القراء ويوقفهم على الحقيقة بوجه الوضوح والجلاء. امَّا الادلَّة على ذلك فكثيرة منها:

ان المصابين بهذا العُدّ كانوا يجاوبونني جوابًا واحدًا كلما سألتهم عنهُ وهو: ان التقيُّح حصل عقيب وَخز حشرة. امَّا المشكيّ عنهُ في إحداث هذا التشويه فهو البعوض او الحرجس وفي الغالب الذبابة وفي النادر البرغوث. واوَّل اثر يحدثهُ الوخز ويستلفت نظر الموخوز هو حكَّة شديدة. والدليل الثاني ان وجود الهوامّ المذكورة في هذه الاصقاع مدة ثلاثة فصول من فصول السنة يُوضح لنا كلّ الوضوح الاصابات المتعدّدة بهذا الداء في تلك الفصول اكثر من وقوعها في الشتاء بخلاف ما يذهب اليهِ لافران (Lavran) القائل بان «الحبَّة تُرى من شهر ايلول الى شهر شباط ومنذ شهر كانون الاول او شباط لا يكاد يُرى اصابات جديدة حتى الخريف التالي». على ان لافران لو

---

١) الأحيًا. تعريب مكروب. وقد جاء في المشرق ١ :٥٤٦ انهُ: «قد تقرَّر اليوم انَّ الباشلوس او المكروب ليست حُيَيوانات بل جراثيم آليَّة كالفطر» لكنَّنا قرأنا في كتب تبحث عن هذا الموضوع ان الاراء لا زالت متباينة. ومهما يكن من الامر فان تفسير اللفظة بما يؤدي معناها حقّ التأدية بالعربية مسألة لا يخلّ بنوابس التعريب. وكما ان الافرنج ابقوا لفظة المكروب مع تحقُّقهم انها ليست حيَّة (اذا فرضنا انها ليست من الحيوانات بشيء) كذلك نُبقي تسمية «الاحيًا» عليها اتباعًا للوهم ان كان ثمَّ وهمٌ. على حدّ ما يقال غابت الشمس وغابت النجوم مع ان الحقيقة ليست كذلك على رأي العلماء في هذا اليوم كما لا يخفى عليك. انتهى قول المعرّب

(المشرق) لم تكر انَّ للمكروب او الباشلوس حياةً. وانما حياتهُ نباتيَّة لا كحياة الحيوان

توغل في أبحاثه لحقّق انّ التلقيح يحدث في فصلي الصيف والخريف . وان التقيّح الذي يبدو في الخريف او الشتاء ليس الّا نتيجة الحضانة التي اغضى الطرف عنها . وهي مع ذلك غير منكرة . وهذه الحشرات تمتص السمّيّة من الاخوات المتقيّحة وتنقلها الى الاصحاء فتلقحهم اياها

ومن هذه الادلة ايضاً ان هـذه البرّة تظهر في أغلب الاحايين على المعاري وليس من الممكن ان يحدث العفن في تلك المواطن بواسطة وسائل الهواء او المعـدة . ولندع المسيو كرادو Carrado احد اطبّاء الصحّة في حلب يتكلم قليلاً . قال : « . . . ومهما بذلتُ من البحث في هذه عشر السنوات فقد ثبت لديّ ان الحبّة لا تظهر على مستورات البدن . ولم اتوفق الى العثور بواحد يفيدني عن السبب . فقد قيل لي دائماً ان البرّة لم تُرَ في تلك المواطن (١ »

هذا وان السمّيّة لا تنتقل على يد نوع واحد من الحشرات بل على يد انواع شتى . منها ما ذكرناه فوق هذا ومنها وسائط اخرى يمكن بها انتقال العدوى كتقبيل شخص مصاب بحبة متقيحة لشخص آخر سالم منها . او وضع قطنة على حبّة متقيّحة ثم اعادة وضعها على جرح دامٍ او ذي قبح في شخص ثانٍ ليس فيه هذه الحبّة . فتنتقل اذ ذاك اليه بواسطة العدوى . وهذا التحقيق ينافي كل المنافاة ما قرّرهُ كرادو الطبيب المذكور الذي يذهب في المسئلة الى ان « العدوى لا تنتقل الّا بنوع واحد من الحشرات وبنبات خصوصي مجهول في هذا اليوم ومنتشر في البلاد التي تحدث فيها هذه الحبّة » . وقد رأيتَ وهنَ مدّعاهُ ممّا تقدم من الشرح . واليك الآن تتمة كلامه بنصـه الحرفيّ معرّبًا قال : « والجهة لعلم الطب يستصعبون في نفوسهم ادراك هـذا الامر وهو كيف ان وَخزة حشرة تُوجد في حلب فقط او في سائر البلدان التي يوجد فيها نفس هذا الداء وان كان بدرجات متفاوتة تفعل هذا الفعل مع انهُ يوجد مثل هـذه الدويبة في بلاد أخرى ولا تحدث نفس هذه الاحداث . فالجواب عن هـذين السؤالين انهُ بموجب ما بذلتُ من البحث في هذا الصدد قد تحقق وجود هذه الحشرة في آسية كلها مع ان الحبة لا توجد الّا في حلب وفي بعض مدن أخرى قليلة . وينسب ذلك الى وجود نبـاتٍ

(١ راجع Revue médico-pharmaceutique de Constantinople. N°. 7, p. 97, année 1891

مجهول اليوم . اذ ان نباتات هذه الاصقاع في نهاية الغنى . ومن هذا النبات تمتص الحشرة جرثومة الداء وبعد ان تُدخلهُ في جسم الصحيح البدن يطرأ عليهِ الطارئ المشؤوم (١ » اه

وتحقيقي يخالف ايضاً مذهب من ينسب تلك الحبة الى الماء والهواء والازهار والنخيل ونحو ذلك من هذا القبيل . ولهذا أُعيد الكلام لمزيد التأكيد : ان حبة بغداد او العُدَّة مرضٌ معدٍ وتنتقل عدواهُ الى حيث تذهب جراثيمهُ وعلى من تقع عليهِ من الآدميين مهما كان موطنهُ او عمرهُ . وعليهِ فالبُرَّة ليست من الامراض التي تصيب الفرد من الناس ولا من جنس القِرَأة ((٢ اي المرض المتوطن كما يظنهُ البعض او كان يظنهُ . لان الجرثومة المرضة تنتقل وتظعن الى شأو بعيد . وقد رأينا ما يثبت كلامنا هذا ان الطبيبين بوانه (Boinet) وديپره (Dépéret) لاحظا الحبة على الناس لم يتفرّدوا عن فرنسة ابداً لكنَّها انتقلت اليهم بالعدوى عند مجاورتهم الجند المصابين بها من الآتين من تونس (٣

بقي عليَّ ان اذكر عاملاً آخر من عوامل العدوى وهو من الاهمية بمنزلة رفيعة ولهذا أُشبع الكلام عنها

ان اغلب المصابين بالأُخت هم الولدان . واذا بلغت العُدَّة طور التقيُّح علتها جُلبةٌ ثخينة وهي تسقط كلما خلفتها جلبةٌ جديدة . واذا سقطت يبست وصارت هباء منثوراً مبثوثاً في الهواء ثم ان هذا الذرّ الحاوي الجراثيم اليابسة يتساقط على جرح او قرحة او سحج او خدش او نحو ذلك او غيرهِ من انواع تفرّق الاتصال . وعلى هذا الوجه يَقْري الانسان ضيفاً ولا يدري بهِ واذا مضت ايام وهو على هذه الحالة شعر بهِ وللحال يشعر ايضاً بثقل وطأتهِ . واذ ذاك يراهُ يعدُّ شيئاً كثيراً من اطنابهِ في غضّ إهاب ويغدو ذاك

---

١) راجع المجلة المذكورة في عددها السابع

٢) القِرَأة هي ما سمَّاهُ بعض كتبة هذا اليوم بالمرض المتوطن (endémie) ونستدل على ذلك من كلام الاصمعي اذ قال : « اذا قدمتَ بلاداً فمكثت بها خمس عشرة ليلة فقد ذهبت عنك قِرأة البلاد وقرة البلاد » (اه عن التاج بحرفهِ) . فيؤخذ من ذلك ان القرأة هي الوباء الخاص بالبلاد المتوطن بها كما يتضح من أدنى تأمُّل

٣) راجع Traité de médecine et de thérapeutique pat Brouardel, Gilbert et Girode, T. III, p. 909

تفرّق الاتصال قرحة سيرها سيرُ الأُخت وفصولها فصول هذه الحبة. وهي من هـذا القبيل تشبه الجدري. وعلى مثل هذا الوجه تُفسَّر كيفيَّة ظهور المدَّة على بعض الناس وهم لا يعرفون كيف وصلت اليهم. والتحقيق الآتي يكون لك بمنزلة دعامـة تدعم به يقينك

اخذتُ شيئاً من الجلبة (القشرة اليابسة) وحللتها بالقطر ثم لقّحتها غلام صيدليّتي وافرغت كل وسعي في اتخاذ الوسائط المضادَّة للتعفّن فظهرت على جلده بَثرة ثم انتقلت من طور الى طور على حد ما يُرى في الاخت الاعتياديَّة من التطويرات (١ من التهاب وتقيّح وندب غير ان شفاءها تمّ قبل ان يتمّ شفاء الاخوات الطبيعية والمميّز الاعظم لحبة حلب هو انها لا تُحدث ابداً اكتظاظاً في الغدد وان بلغ امتدادها مبلغاً عظيماً

وزد على ذلك ان سُمّية الحبـة الحلبية تبقى فيها ما شاء الله وهذا الامر يجهلهُ اغلب الناس. ولهذا يجب على المرّضين ان يغسلوا جميع الامتعة والألبسة التي اتخذها المصاب بالمدَّة والّا فان المرض يبقى متزوياً الى ان يحين لهُ فرصة فيثب ولا وبْة الظليم الجافل فهو اذن « مُخرنبقٌ لينباع. ومُجرّز يسيد الباع »

وللعدوى طور حضانة طويلة المدَّة فاذا حدث تلقيح الجرثومـة لجسم ورافقتهُ الظروف والاحوال يظهر فيـه الفساد بصورة بثرة واحدة او بثور متعدّدة متجاورة او متباعـدة ولا يصحب ذلك كلهُ شيء من العواقب الرخيـة كما يُرى في سائر انواع القرحات وبالعكس فهـذه القرحة ترجع بعض الاحيان على عقبها مدحورة اذا كانت الدوافع (٢ عن ذلك المحلّ شديدة الباس صعبة المراس. ثمّ يحدث باثر تلك الوقعة بثرة

---

١) جمع تطوير مصدر طوّره اي نقلهُ من حالة الى حالة ومن هيئة الى هيئة ومنهُ قول التاج في كلامهِ عن الخضر: « وقد أُعطي قوّة التطوير في اي صورة شاء » وهـذه اللفظة من مستدركاتي على دواوين اللغة

٢) الدوافع وبالفرنسية Phagocytes ou phagocytose كُرّيات جوالة تنتقل في خلال انسجة البدن وتهجم على ما يهاجمُ الجسم من الأحيّاء الاعداء محافظةً على سلامة الصحّة من لقطر والضرر. وقد سمّاها الضياء (٣: ٢٢٦ و٢٢٧) « بالرواعي » من رعى الشيء اذا حفظهُ. لكننا رأينا في هذه القسية خللاً وهو زيادة معنى آخر على معاني الرواعي الكثيرة في حد ذاتها. ولهذا فضّلنا عليها كلمة « الدوافع » وهي اوفق ايضاً للمعنى لما في اشتقاقها من تأدية معنى وظيفتها الحقيقة الاصليَّة اذ لا غلّ من المدافعة عنهُ بانتباه ويقظة كلّما نابهُ نائبة

ضعيفة لا يُلتفت اليها وتبقى بضعة اسابيع لا تؤذي المصاب بهـا بشيء يذكر . بخلاف ما يؤكدهُ بعض الاطباء بانهُ من اللازم اللازب ان تدوم كل حبة سنة واحدةً بدون زيادة ولا نقصان

هذا واني لا اختلق هذه الأقاويل بل اليك بحرفهِ المعرَّب ما قالهُ بهذا الصـدد حضرة السيو كزَّادو : « ومهما زعم الزاعمون انَّ الحبة تنتقل من طور الى طور في مدَّة سنة واؤكد كل التأكيد ان هذه المدة قد تتردَّد بين ١٠ شهور و ١٨ شهرًا ». وهذا لا ينفي قولي الاول اي انها قد تدوم بعض الاحيان ٢٤ شهرًا او ٣٠ او ٤٠ (١

٤ هل تُلقَّح الحبَّة البغدادية ؟

ثم تُلقَّح ودونك الاختبارات التي تدعم هذه الحقيقة وقد اصبحت اليوم لديَّ من الحقائق الراهنة . قد اخذت شيئًا من المادَّة عن بَثرةٍ أُمِّ ثمَّ لقَّحتها لاربعة من جيراني فكانت فيهم النتيجـة واحدةً اي ظهرت فيهم أعراض مرضيَّة واحدة وهؤلاء الاربعة كانوا ممن أُصيبوا بالعدَّة في صغرهم

واوَّل هؤلاء الاربعة كان الخواجا يوسف كُشْ فألقحتهُ المادَّة في ساعده الايمن في ١٣ شباط سنة ١٨٩٦ وما مضى على البُرَّة ٢٤ ساعة الَّا وظهرت بثرة ثمَّ تحوَّلت نقطةً وكان لون جُلبتها اسمر ادكن وبعد ١٠ أيام برئت بالتمام

وكان الثاني الخواجا نصوري جرجس ولقحتهُ في ذلك اليوم عينـهِ في معصمهِ وظهرت عليهِ نفس الظواهر التي ظهرت في الاول . الَّا ان الادوار الثلاثة من التهاب وتقيُّح وتندُّب بانت فيهِ أتمَّ البينونة وطالت مدَّتهـا وكانت الجلبة اثخن من الجلبة الاولى وأمسك بالحبَّة . وكان لونها اغبر على سمرةٍ وشُفي منها بالتمام في اليوم الثاني من شهر آذار من تلك السنة

وكان الثالث زيَّا هرمز وكان تلقيحهُ في ١٨ شباط سنة ١٨٩٦ في الجانب الوحشي من معصمهِ الايمن وفي اليوم الثاني ظهرت نقَّاطة محاطة بهالة حمراء وكانت الجلبة سريعة السقوط وشُفي منها في ١٢ من الشهر التالي من تلك السنة

وكان التلقيح الرابع لعجوز في ساعدها وكانت الاعراض نفس الاعراض التي رُئيت

(١) راجع المجلة الطبية الصيدلية أي : Revue médico-pharm. de Const. N°. 6, p. 98, ann. 1891

في الاشخاص المتقدم ذكرهم الا ان مدة الشفاء طالت عليها

ومما ذكرناهُ الى هنا يثبت لك ان تلقيح العُدّ هو امر مقرَّر وليس فيهِ ادنى ريب وزد على ذلك انَّ هِكمَن (Hickmann) يشهد لك بالامر في كتاب الطب والعلاج لانهُ زاول التلقيح للحيوان بل وللانسان ايضاً وفازت اختباراتهُ بالقدح المعلَّى (١

امَّا تلقيح الاصحاء تقادياً من هجمة العدَّة على حرّ الوجه بكمال العدة فلا اظنهُ يفضي الى الغاية المطلوبة. واني لم اجرّب ذلك على احد. لان البغاددة لا يستسلمون الى مثل هذا النوع من العجم العود ولا الى هذا الضرب من التجرّدات الصحّيَّة. لان العدّ ليس سيّ. المعنَّة في عيونهم مع انهُ ظهر لي وبان ووضح للعيان انَّ البرَّة تمتدّ امتدادًا عظيماً في امزجة المبرودين (٢ (اي اليمفاويين) لا بل وقد تضرّ بالمجموع العضوي اذا كان المصاب بالتوتة لطيفًا نحيفًا وتُضعف فيهِ الدم ويتولَّد عن هذا الضعف هزال محسوس. فعلى مثل هؤلاء الناس تشاهد التغيّرات العظمى التي هي من نتاج التعفن وحدهُ لانك اذا امعنت النظر في تلك الاعراض لا تتمالك من ان تكون من حزبنا مقاومًا الحزب الثاني القائل بان حبة بغداد ليست من اثر عفونة (الباقي للآتي)

تاريخ دير مار انطونيوس الملقَّب بقزحيَّا

نبذة تاريخيَّة لحضرة الاب الفاضل نعمة الله الكفري
اقتطفها من تاريخ مخطوط للطبيب الذكر المطران جرمانوس فرحات
وأضاف اليها هذهِ فوائد مع ملخَّص تاريخ الدير الى أيامنا

قال المطران جرمانوس فرحات في تاريخهِ: وفي سنة ١٧٠٨ (اي بعد تأسيس الرهبنة بثلث عشرة سنة) اخذ الرهبان اللبنانيون ديرًا في جبة بشرّاي في جانب الوادي المقدس على اسم القديس مار انطونيوس الكبير يلقَّب بقزحيًا. وهي لفظة سريانيَّة (اصلها ܩܙܚܝܐ) معناها كنز الحياة. وهو دير مشهور في بلاد الشرق بالعجائب والآيات ولاسيما بشفاء المتعرين من الارواح الرديئة من كلّ ملة ومذهب تقصدهُ الزوّار من كلّ مكان

١) راجع كتاب الطب والعلاج اي: Traité de médecine et de thérapeutique. T. III, p. 909

٢) راجع المشرق ٤: ٥٤٧ في الحاشية الموسومة بالرقم «١»